التوسع البريطاني في أقاليم الزمبيزي-اللميوبو

أ.عمي ذهبية
جامعة الجزائر.2 أبو القاسم سعد الله
ammidehbia@gmail.com

تاريخ الايداع:**20/08**/2018 تاريخ التحكيم 17/09/2018 **تاريخ النشر 20/05/2018**

الملخص:

تعد الحركة الاستعمارية البريطانية أكبر حركة توسعية للإمبريالية الأوروبية في القارة السمراء، وكان من أبرز ميكانزمات الإمبراطورية في سياستها التوسعية الحصول والحفاظ على مصالحها التجارية والاقتصادية لذلك كانت إفريقيا محط أطماع هذه الدولة ويعود أول اتصال للبريطانيين بالمنطقة إلى عصر الكشوفات الجغرافية أي نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م، ولم تستطع الإمبراطورية ترسيخ أقدامها في جنوب إفريقيا إلا مع نهاية القرن 18م بتأسيسها لمستعمرة الكاب عام 1888م نتخذ من هذه الأخيرة قاعدة لتوغل شمالا في دواخل افريقيا لتسيطر على الأقاليم المجاورة في حوض الزمبيزي واللمبويو وربط مستعمراتها في الجنوب بمستعمراتها في الشمال، لذلك سوف نحاول من هذا المنطلق تفسير أهم العوامل التي ساعدت بريطانيا على توغل في دواخل افريقيا وبسط نفوذها في إقليم الزمبيري واللمبوبو، مرورا بذكر أهم المراحل التي مرت بها الحركة التوسعية الامبريالية بالمنطقة وأهم ميكانيزمات هذه العملية التوسعية الاستيطانية، وما نتج عنها مع ذكر أهم الشخصيات التي لعبت دورا بارزا في الحركة التوسعية الامبريالية أمثال سيسيل رودس (Cecil Rhods) والمكتشف دافيد لفنجستون (David livingston) وغيرهم الذين كانوا المحرك الأساسي للاستعمار البريطاني بالمنطقة بمساعدة من الحركات والجمعيات التنصيرية ودعم من الحكومة البريطانية.

مقدمة:

طمعت بريطانيا في الحصول على أكبر مساحة في إفريقيا وفعلا تم لها ذلك بفضل قدراتها الحربية خاصة البحرية منها، ولم يحل القرن 20م، حتى استولت بريطانيا على أجزاء من الجنوب الإفريقي وشرقه حتى البحر المتوسط عبر مصر والسودان ونافش فرنسا في غرب افريقيا.

ولقد تمكنت بريطانيا من بسط نفوذها مرورا بعدة مراحل حيث ترجع علاقة بريطانيا بسواحل إفريقيا إلى أوائل القرن السادس عشر وسميت تلك المرحلة "بالمرحلة الجزرية" أو "الساحلية"، بعدها انتقلت بريطانيا إلى مرحلة التوغل داخل القارة لتدخل منذ النصف الأول من القرن19م مرحلة التكالب على افريقيا (Secramble for Africa) أين حرضت بريطانيا أن يكون لها حصة الأسد في إفريقيا، ولكي تحقق بريطانيا ذلك اتخذت من قاعدتها في جنوب افريقيا مركزا لتوغل داخل القارة الافريقية صوب الشمال فكان لابد من ضم إقليم الزمبيزي واللمبوبو باعتباره الطريق الأمثل للوصول إلى دواخل القارة وتكوين إمبراطورية في إفريقيا تمتد من الجنوب الإفريقي إلى شماله.

ومن هذا المنطلق سوف نحاول معرفة أهم العوامل التي ساعدت بريطانيا من أجل التوغل في دواخل إفريقيا والسيطرة على إقليم الزمبيزي واللمبوبو؟ وفيما تمثلت أهم ميكانيزمات ومراحل الحركة التوسعية الامبريالية البريطانية بالمنطقة؟

1– الإطار الجغرافي لأقاليم الزمبيزي واللمبوبو:

يعد حوض نهر الزمبيزي واللمبوبو رابع أكبر الاحواض النهرية في افريقيا ويتحدد الإقليم الشرقي لصحراء كالهاري وفي الجنوب بمنخفض نهر اللمبوبو، ويشمل الإقليم حاليا زيمبابوي (روديسيا الجنوبية) وزامبيا (روديسيا الشمالية) ومالاوي (نياسلاند) والموزمبيق التي استحوذت عليها البرتغال وهي اجمالا بلاد مرتفعة عن سطح البحر إذ يبلغ ارتفاع بعض القمم فيها حوالي 8000 قدم وهي بلاد غنية بأنهارها وبحيراتها ويشغل هذا الإقليم مساحة تقارب 1268.630كم[1]

وتعتبر المنطقة من أغنى أقاليم افريقيا بالمعادن مثل الذهب والامنيات، والزنك، الرصاص، الكوبالت، النحاس بالإضافة إلى العديد من المحاصيل الزراعية مثل الكروم وكذلك الثروة السمكية[2]

كما تعرف المنطقة بأنها مركز هام لتبادل الاقتصادي والثقافي بحكم موقعها الجغرافي[3].

2–دور المكتشف ليفينجستون دافيد (David Livingston) والبعثات التنصيرية البريطانية في التمهيد لسيطرة البريطانية على الإقليم:

أ– رحلات Livingston الاستكشافية وتمهيد الطريق إلى أقاليم حوض الزمبيزي واللمبوبو:

لقد قام الرحالة والمكتشفون البريطانيون بدور هام في كشف أقاليم حوض الزمبيزي واللمبوبو وتعريف العالم الأوروبي بها، وامتد دورهم في التمهيد للاستعمار وذلك بنشر تقارير رحلاتهم وكتبهم بشكل واسع[4].

وترتبط عملية كشف أقاليم حوض الزمبيزي واللمبوبو باسم الرحالة الاسكتلندي دافيد لفنجستون (Livingston)[5]، الذي قام بعدة رحلات استكشافية للمنطقة، حيث حاول لفنجستون إيجاد طريق قصير وسهل يوصل إلى داخل القارة مما يسمح لرجال التبشير والتجار الأوروبيين بسهولة التوغل فيها حتى يصلوا إلى المناطق المرتفعة والتي تصلح لمعيشة الأوروبيين[6]

نزل لفنجستون في أقصى جنوب إفريقيا عبر رأس الكاب (كيبتاون) عام 1841م بقصد التبشير وبعد مدة تغلبت عليه فكرة الكشف والترحال[7] وقام باستكشاف المنطقة على ثلاث مراحل وهي:

1– الرحلة الأولى: (1849–1856)

انطلق فيها لفنجستون من مدينة الكاب اخترق صحراء كالهاري واكتشف بحيرة ديول تم مجرى نهر الزمبيزي الأعلى وتمكن من اكتشاف نهر شيرى وبحيرات شيروى ونياسا وكتب إلى وزارة الخارجية البريطانية وطلب منها إقامة مستعمرة في تلك المنطقة يشرف عليها الأوروبيين ويعمل فيها الافريقيون[8]

وقد نجح لفنجستون بالوصول إلى أراضي الباروتس أورويسيا الشمالية (زامبيا حاليا) وأقام علاقات ودية مع قبائل الكولولو الموجودة في المنطقة أين بدأ بنشر المسيحية بين السكان وتقديم مساعدات طبية لهم، بعدها عاد أدراجه متبعا أثناء عودته المساقط المائية التي تتعرض مجرى النهر والتي تعرف الآن بشلالات فيكتوريا ثم عاد إلى بريطانيا ونشر كتابه الذي يسرد فيه تفاصيل رحلته هذه[9]

2-الرحلة الثانية (1858-1864م):

في هذه المرحلة عينت بريطانيا لفجنسون قنصلا عاما على شاطئ شرق إفريقيا وتابع لفنجستون رحلته شمالا إلى مصب نهر الزمبيزي وقام بعدة جولات بين بحيرتي نياسا وننجافيها[10] أين قام بتأسيس محطة لتبشير جنوب بحيرة نياسا وذلك عام 1891، كما تحدث لفنجستون عن استفحال تجارة الرقيق بالمنطقة وعرض على اللورد جون واسل أمر ظلم هذه الأقاليم لنتاج البريطاني من أجل القضاء على تجارة الرقيق وتنشيط عمليات التبشير بالمنطقة[11].

3-الرحلة الثالثة (1866-1872م):

وهي المرحلة الأخيرة للفنجستون حيث كلمته الجمعية الملكية بلندن بتوضيح شبكة الأنهار والبحيرات في وسط افريقيا، ولقد بدأ رحلته من زنجبار وصولا إلى بحيرة ثانجانيها، بعدها عاد لستانلي من شرق افريقيا ومعه مذكرات لفنجستون، أما لفنجستون فقد بقي هناك إلى غاية وفاته في ماي 1873م[12].

ومن هنا نستنتج أن اكتشاف لفنجستون لدواخل افريقيا كشف النقاب عن أقاليم الزمبيزي واللمبوبو ومهد الطريق لتوسع البريطاني في المنطقة، وفتح الطريق أمام البعثات التنصيرية لتوغل ونشر المسيحية بالمنطقة.

ولقد ظهرت الاطماع البريطانية جالية في المنطقة خصوصا بعد اكتشاف مناجم الذهب بمملكة الميتابيلي وظهور سيسيل رودس[13] الاستعماري البريطاني على مسرح الاحداث من المنطقة، الذي ومنذ وصوله إلى جنوب افريقيا منذ عام 1870م وهو يحاول بسط النفوذ التي كانت شائعة في ذلك الوقت لتحقيق أطماعه الاستعمارية اعتمد على التوغل الاقتصادي وعقد معاهدات مع الزعماء الافريقيين لربطهم بعجلة الإمبراطورية البريطانية ومن أجل ذلك قام بتأسيس شركة تعدين (De beer-mining go) عام 1880 لتثبت السلعة البريطانية في جنوب افريقيا[14]

وكان حلم رودس الأكبر تكوين امبراطورية عظمى في افريقيا تمتد من رأس الكاب إلى القاهرة ويربطها بسكة حديدية لذلك أدرك أهمية مملكة الميتابيلي لتحقيق هذا الغرض، ولكن قبل ذلك كان عليه إقناع سلطات بلاده بإدخال منطقة بتسوانالاند " تحت حماية بريطانيا، وبذلك تقدمت الجيوش البريطانية بقيادة "السير شار واران" الذي نجح في ضم المنطقة إلى مستعمرات الرأس سنة 1885م[15].

وكانت الخطوة التالية بالنسبة "لسيسيل رودس" وضع يده على أراضي "اليتابلي" لتسود بريطانيا نحو شمال، تلك الأراضي الواقعة شمال شرق بتسوانا لاند التي كتن يتزعمها أنذالك الملك "لوبنجويلا"(Labengula) ومن أجل ذلك قام رودس بعقد معاهدة مع الملك "لوبنجويلا" بواسطة منجون موفات سميت بمعاهدة جون موفات في 11 فيفري 1888 ونصت على أن يسود السلام والصداقة بين الميتابيلي والريايا البريطانين كما وعد الملك بعدم توقيع أن معاهدة مماثلة مع أي دولة، وبذلك دخلت المملكة منطقة النفوذ البريطاني.

ب- دور البعثات التبشيرية:

أما الجمعيات التبشيرية والمبشرون فقد لعبوا دورا هاما في التمهيد لقدوم الاستعمار البريطاني وتوسعه في أقاليم الزمبيزي واللمبوبو وحيث أنهم توغلوا بين غابات المنطقة وعملوا بين الافريقيين ودرسوا عاداتهم وتقاليدهم وكتبوا عنهم في المجلات والجرائد وأهمها جمعية البريطانيين المبشرين التي أنشأت العديد من المراكز التبشيرية في تلك الأقاليم منها "ما بومالي"، "مبلي"، "ياميبو"، ولقد كانت هذه الجمعيات تصدر العديد من المؤلفات تدعوا فيها السلطات البريطانية إلى الإسراع إلى جنة إفريقيا[16].

حيث أقام هؤلاء أقدم مركزا لتنصير في كرومان جنوب إفريقيا عام 1816م فكانت المحطة الرئيسية للبعثات التنصيرية لتوغل داخل القارة لمدة ثلاثين عاما ومنها بدأت البعثات في الانطلاق شمالا إلى أراضي الميتابيلي (زمبابوي) وأراضي بتسوانا لاند بزعامة الاب روبرت موفات[17].

2- التوسع البريطاني في مملكة الميتابيلي والماشونا أي روديسا الجنوبية (زيمبابوي حاليا):

-سيسيل رودس (Cecil Rhods) وأطماع بريطانيا التوسعية:

تعتبر مملكة الميتابيلي أقوى الممالك في حوض الزمبيزي واللمبوبو في الفترة التي قدم فيها الأوروبيون إلى المنطقة، ويرجع أصولهم إلى الزولو الذين هاجروا من جنوب إفريقيا أين استقروا في غرب رودسيا الجنوبية بين اللمبوبو جنوب والزمبيزي شمالا.

وأخضعوا قبائل الماشونا بزعامة ملكهم ميزيليكازي الذي تمكن البريطانيون بزعامة المبشر "موفات" من إقامة علاقات ودية مع هذا الملك وتوقيع معاهدة سلم وصداقة معه في 03 مارس 1836 والتي على أثرها فتحت أراضي رودسيا الجنوبية لاستقبال البعثات التنصيرية وممارسة نشاطها[18].

كما حصل سيسل رودس بامتياز يخول له استغلال المعادن الثمينة الموجودة بالمنطقة سمي "امتياز رودس" وكان ذلك مقابل أن يحصل الملك على 100 جنيه إسترليني 1200 بندقية كما تعهد الملك بعدم منح أية إمتيازات لاي كان إلا بموافقة رودس، وبمقتضى ذلك قام رودس بتأسيس شركة جنوب افريقيا البريطانية (Btitich south

Africa company) وذلك في 03 أفريل 1889م وقد ذكر رودس أن هذا التاريخ يعتبر تاريخ ميلاد مستعمرة جديدة تضاف إلى التاج البريطاني[19]

ومنذ ذلك الوقت أصبح رودس ينتظر الفرصة للقضاء على الملك "لوبنجويلا" نهائيا، فقام بهجوم على مملكة "الميتابيلي" في 22 أكتوبر 1892م وهزم الملك الذي لاذ بالفرار واستولت نهائيا القوات البريطانية على أراضي الميتابيلي وتم ضمها إلى ممتلكات البريطانية وتم تغيير اسمها عام 1895م إلى اسم روديسيا تخليدا لجهود رودس سيسيل في استعمارها، هذا الأخير الذي كان من أكبر رواد الحركة التوسعية الامبريالية الذي شجع الحركة الاستعمارية قائلا: " على رجال السياسة الاستعماريين أن يمتلكوا أرضا جديدة لتوطين السكان الزائدين وإيجاد أسواق جديدة للسلع"[20]

3- التوسع البريطاني في مملكة الباروتسي والبامبا (روديسيا الشمالية أوزامبيا حاليا):

نقصد بأراضي الباروتس روديسيا الشمالية أو زامبيا حاليا عرفت المنطقة عبر تاريخها الطويل بجمع العديد من القبائل الافريقية أهمها قبائل الباروتسي الكوية قبائل البمبا والنجوني وقبائل الكولولو ومن أشهر ملوك المنطقة سيكيلتيو وابنه سيتوان والملك لوانيكا الذي حكم ما بين (1878-1916م)

ولقد زاد الاهتمام البريطاني بالمنطقة بعد أن نشر لفنجستون كتاب عن المناطق الداخلية في إفريقيا حيث قامت جمعية لندن التنصيرية بإرسال بعثته برئاسة جون ماكنزي عام 1859م

ولقد استقبلت البعثة من طرف ملك سيكيليتو بكل حفاوة، لكن عندما اكتشف الملك التقارير السرية التي تقوم بها البعثة عن تجارة الرقيق قام باحتجازهم ولولا تدخل لمنجستون لحل الازمة وطمأنه الملك لقتلهم جميعا[21]

وعند وصول ابن الملك "لوانيكا" إلى سيدة الحكم انتهج نفس الطريق من أجل الحفاظ على سلامة أراضيه بمنحة المزيد من النفوذ للبعثات التنصيرية مثل بعثة بليموت عام 1882م واستغلت بريطانيا الفرصة لوضع المنطقة تحت حمايتها وعينت أول مندوب سامي لها بالمناطق عام 1898 وأصدر مجلس الوزراء البريطاني أمر إخضاع أراضي الباروتسي لسيطرة المندوب السامي البريطاني في جنوب إفريقيا، كما وقعت النجوني والبامبا في دائرة النفوذ البريطاني بواسطة الشركة البريطانية التي دعمت نفوذها منذ عام 1899 وجعلوا فوت جيمسون عاصمة البلاد[22]

5-التوسع في تياسا لاند (ملاوي):

قامت بعثة لفنجستون بفتح العيون إلى أهمية الجهات الواقعة حول بحيرة تياسا التي وصفها وصفا دقيقا في كتابه" Expidition to the Zambéle and itsributries " بذلك ظهرت العديد من الشخصيات التي كانت مهتمة باستكشاف المنطقة ونشر المسيحية بها وخدمة حكومة بريطانيا بالمنطقة.

وفي عام 1878 تأسست شركة البحيرات الإفريقية التي شكلت قوات بوليسية برئاسة فريديك لوجارد بحجة محاربة تجارة الرقيق لكن الشركة قامت باستغلال نفوذها بمساعدة من البعثات الكشفية والتنصيرية فرضت بريطانيا حمايتها على نياسالاند (مالاوي)[23]

خاتمة:

ومما سبق نستخلص مايلي:

– تعتبر الحركة الاستعمارية البريطانية أكبر حركة توسعية إمبريالية في إفريقيا ويعود تاريخ وجودها بالمنطقة إلى عصر الكشوفات الجغرافية

– بعد إقليم حوض نهر الزمبيزي واللمبوبو رابع أكبر الأحواض النهرية في إفريقيا يشمل الإقليم حاليا زيمبابوي (روديسيا الجنوبية) زامبيا (روديسيا الشمالية) مالاوي (بياسالاند) والموزمبيق التي استحوذت عليها البرتغال.

– تمكنت بريطانيا من تحقيق أطماعها التوسعية بفضل الدور الكبير الذي أدته البعثات الكشفية البريطانية بالمنطقة والتي تراسها 'دافيد لفنجستون" ونشاط البعثات التنصيرية البريطانية التي كان لها فضل كبير في تمكين بريطانيا من التغلغل في تلك المناطق وبسط السيطرة على شعوبها وأراضيها.

– سعت بريطانيا من أجل بسط نفوذها في أقاليم حوض الزمبيزي، اللمبوب (زمبابوي، زامبيا، مالاوي) وذلك كخطوة أساسية لتحقيق مشروعها الاستعماري الكبير في إفريقيا والذي تبناه العديد من رواد هذه الحركة أبرزهم "سيسيل رودس" والذي كان يحلم بإنشاء إمبراطورية بريطانية في إفريقيا تمتد من رأس الكاب جنوبا إلى القاهرة شمالا.

الهوامش

1- إحسان حقي، افريقيا الحرة بلاد الأمل والرخاء، ط1، المكتب التجاري لطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1962، ص160.

2- نفسه، ص163

3- أداى أجاى: ج ف، تاريخ إفريقيا العام القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانيناته، المجلد السادس، اليونيمكو، طباعة حسن درغام، لبنان، 1997، ص221.

4- الموسوعة الافريقية، المجلد//، لمحات في تاريخ القارة الافريقية، تقديم: رجب محمد عبد الحليم، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، 1997، ص 317

5- دافيد لفنجستون(David Livingston)، (1813-1873) طبيب ومبشر بريطاني من أصل إسكتلندي أول مكتشف أقاليم حوض الزمبيزي واللمبوبو وصل إلى جنوب إفريقيا عام 1841م وقام بعدة رحلات إستكشافية. أنظر: الموسوعة الحرة

6- David Livingston, Expedition to the Zambezi and its tributaries (and of the discovery of the lake shitwa and nyssa 1858-1864), London, 1865,p:14

7- أحمد نجم الدين فليحة، إفريقيا دراسة عامة وإقليمة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1969، ص:58

8- جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مكتب الجامعة الحديث الإسكندرية، 1999، ص 220

9- فيصل محمد موسى، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة ابنغازى، 1997، ص109

10- الموسوعة الافريقية، المرجع السابق، ص317

11- جلال يحي، المرجع السابق، ص230

12- الموسوعة الافريقية، الرجع السابق، ص 312

13- فيصل محمد موسى، المرجع السابق، ص 213

14- Robert Cornevin, Histoir de l'afrique (1500-1900), Tome //, payot, Paris, 1966, P:98.

15- Ibid, P:102

16- رودس سيسيل (05جوان 1853-20مارس 1902) يعتبر من أكبر رواد الحركة التوسعية البريطانية مؤسس شركة جنوب إفريقيا عام 1590م ومن مؤسسي المستعمرات البريطانية في إفريقيا الجنوبية التي سمت باسمه"روديسيا" ويعرف بملك الماس والذهب أنظر: الموسوعة الحرة

17- زاهر رياض، إستعمار إفريقيا، معهد الدراسات الافرقية، جامعة القاهرة، 1965، ص200.

18– Cecil Jhon Rhodes, Last will and testament, office nerfolk street, london, 1902, p ;05

19– Ibid, P: 100

20– ي سافليف، ج فاسليف، موجز تاريخ إفريقيا، تعريب ابن الشريف، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، دت، ص ص: 56–57.

21– الهام محمد علي الدهني: بحوث ودراسات في تاريخ إفريقيا الحديث، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 2009، ص319.

22– نفسه: ص ص 319–321.

23– نفسه: ص: 326.